روح القدس في القرآن الكريم
دراسة تحليلية

إعداد

الدكتور

حسام عواد خليفة القيسي

تدريسي

كلية التربية الرياضية

جامعة الأنبار

husamawad1976@gmail.com

issn : 2071- 6028

الملخص

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ومن المعلوم أن العلوم الشرعية هي أشرف العلوم لأنها مفاتيح الخير، وبعد التمعن في كتاب الله من اجل اختيار موضوع عن خصائصه، اخترت أن أكتب في هذا العنوان، وقد اخترت آيات من ثلاث سور (البقرة، المائدة، النحل) ودرستها دراسة تحليلية، وقد تبين لي:

١. أظهر الله سبحانه وتعالى بشاعة حال بني إسرائيل وخسة عقولهم وما بلغوه من استكبار وتكذيب لله ولرسله، فقد أرسل الله إليهم الأنبياء والرسل الكثيرين فبدل من أن يذعنوا ويشكروا نعمة الله عليهم قاموا بتكذيبهم وقتلهم ومازادهم ذلك إلا استكبارا وتكذيباً.

٢. القرآن الكريم منهج الحياة السلمية ومن اتبعه فقد اهتدى إلى الحق وله البشرى في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، وقد نزل بالحق ليثبت المؤمنين عند انتشار فتن الحياة وعند كل ابتلاء يقابلهم وهو هدى للآخرين إذا أرادوا الهداية وهو بشرى لكل من أسلم لله تعالى.

الكلمات المفتاحية : روح ، القدس ، قرآن

Abstract

That who Allah want to him a good, taught him the religion. It is well-known that Islamic sciences are the most honorable and noble sciences for Allah, because they are the key to all good, but after contemplating on the Holy Qur'an and because of my tendency to pick up one of its pearls , I have chosen this title. So I managed to collect these verses and I find that they are three verses in Surah (Albaqarah), (Alma'idah) and (An-nahl) and I studied them analytically and I concluded the following:

1. Allah (High is he above) has exposed the deformity of the children of Israel and the villainous of their minds, and what they reach of arrogance and deny of Allah and his messenger. Thus Allah has sent them the prophets and the messengers, but instead of obeying and thanking the bestowed of Allah, they deny and killed, and this increased their deny and their arrogance.

2. The Holy Qur'an is the best guide to the correct life, and those who followed were directed to the right way, and the Holy Qur'an would has the missionary in life and hereafter. The Holy Qur'an was sent down with right to strengthen the believers upon the shaken matters of life, and at every affliction they encounter, and it is the guide to the other those intended the guidance and it is the missionary to all who believe in Allah (high he is above).

Keyword : spirit , jerusalem , koran

(

)

المقدمة

الحمد لله الواحد القدوس، الذي خلق كل شيء وأقرته النفوس، فجعل للمؤمنين منزلاً في الفردوس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مَن به رُفعت الرؤوس وعلى آله وأصحابه الذين سطروا للعالم العبر والدروس... أما بعد:

فإن من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، فبالعلم يرفع الله جل وعلا درجات العلماء العاملين ويفضلهم على غيرهم من العباد فلا طريق إلى معرفة عبادة الله جل وعلا والوصول إليه إلا بالعلم الشرعي، لذلك تعد العلوم الشرعية من أشرف العلوم وأكرمها عند الله تبارك وتعالى، لأنها مفتاح كل خير، وبعد التأمل في كتاب الله عز وجل ورغبتي في إقتناص درة من درر هذا الكتاب وقع الاختيار على دراسة آيات كريمات فكان عنوان هذا البحث **(آيات روح القدس في القرآن الكريم ـ دراسة تحليلية)**.

واقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وثلاثة مباحث، أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية البحث وسبب اختياري له.

وأما **المبحث الأول:** آيات روح القدس في سورة البقرة.

وأما **المبحث الثاني:** آيات روح القدس في سورة المائدة.

وأما **المبحث الثالث:** آيات روح القدس في سورة النحل.

وكان منهجي في البحث هو:

١- تحليل الكلمات من الناحية اللغوية.

٢- مناسبة الآية لما قبلها.

٣- الإعراب وبينت فيه ما كان من وجوه إعرابية متعددة كما ذكر أهل الاختصاص.

٤- جمعت ما استطعت من قراءات تتعلق بالآية من غير حكم عليها.

٥- وذكرت الوجوه البلاغية التي وردت في الآية الكريمة.

٦- بينت المعنى العام للآيات.

٧- وضحت ما في الآيات من دروس وعبر.

ولم أترك أسباب النزول، وإنما بعد التتبع الشاق لم أجد للآية سبب نزول يُذكر. وكذلك ترجمت لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث وتركت من كان مشهوراً منهم، ثم ختمت البحث بخاتمة كتبت فيها ما سطرت يداي من نتائج قد توصلت إليها أثناء بحثي هذا.

الباحث

المبحث الأول
آيات روح القدس في سورة البقرة

ورد «روح القدس» في سورة البقرة في موضعين سأفصلهما فيما يأتي:

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[1].

الفرع الأول: **التحليل اللغوي**:

١- قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: اقتفاه وتقفاه: تبعه، والقفو مصدر قولك قفا يقفو قفوا، وقفوا وهو أن يتبع الشيء، واقتفى أثره وتقفاه اتبعه، وقفيته غيري وبغيري أتبعته إياه وفي التنزيل العزيز: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[2]، أي أتبعنا نوحا وإبراهيم رسلاً بعدهم[3].

٢- قوله تعالى: ﴿بِرُسُلِنَا﴾ الرسل القطيع من كل شيء والجمع أرسال، والرسل الإبل والرسل قطيع بعد قطيع وأرسلوا إبلهم إلى الماء أرسالاً أي قطعاً واسترسل إذا قال أرسل إلي الإبل أرسالاً وجاءوا رسلة رسلة أي جماعة جماعة وإذا أورد الرجل إبله متقطعة قيل أوردها أرسالاً فإذا أوردها جماعة قيل: أوردها عراكا، وفي الحديث: (أن الناس دخلوا عليه بعد موته أرسالاً

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، طبعة جديدة محققة، دار المعارف: ١٩٤/١٥ مادة رسل، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٧٢١هـ)، تحقيق: محمود فاطر، طبعة جديدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م: ٢٢٨.

يصلون عليه)[١]. أي أفواجاً وفرقاً متقطعة بعضهم يتلو بعضاً واحدهم رسل بفتح الراء والسين، وفي الحديث: (يا أيها الناس إنا لكم فرط على الحوض وإنه سيؤتى بكم رسلاً رسلاً فترهقون عني فأقول أين فيقال إنهم بدلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً)[٢]، أي: فرقاً.

٣- قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ (آد الرجل اشتد وقوي وبابه باع والأيد والآد بالمد القوة وتقول من الأيد أيده تأييداً أي قواه، والفاعل منه مؤيِّد وتصغيره مؤيد أيضاً وتقول من الآد آيده بوزن فاعله فهو مؤيد بوزن مخْرِج وتأيد الشيءُ تقوَّى ورجل أيَّد بوزن جيد أي قوي)[٣].

٤- قوله تعالى: ﴿رُوحُ﴾: الروح يُذَكَّر ويؤنث، والجمع الأرواح ويسمي القرآن عيسى وجبرائيل -عَلَيْهِمَا السَّلامُ- روحاً والنسبة إلى الملائكة والجن روحاني بضم الراء والجمع روحانيون وكذا كل شيء فيه روح روحاني بالضم ومكان روحاني بفتح الراء طيب[٤]، وقال الجرجاني: (الروح الإنساني هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر تعجز العقول عن إدراك كنهه وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبقة في البدن)[٥].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: ٥٣٩/٢ « باب الراء مع السين».

(٢) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين، القاهرة ،١٤١٥هـ: ٣٠٧/٨.

(٣) مختار الصحاح: ١٤ «باب الألف».

(٤) ينظر: مختار الصحاح: ١١٠ «باب الراء».

(٥) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ: ١٥٠.

٥- قوله تعالى: ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾: الهوى مقصور هوى النفس والجمع الأهواء وهوي أحب وبابه صدي قال الأصمعي[١]: هوى يهوي كرمى يرمي هويا بالفتح سقط إلى أسفل وانهوى مثله وأهوى بيده ليأخذه واستهواه الشيطان استهامه[٢].

الفرع الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها:

لما بين الله تعالى أن بني إسرائيل قد نقضوا العهود فأحاطت بهم الخطايا فاستحقوا الخلود في النار توقع السائل الإخبار عن سبب وقوعهم في ذلك هل هو جهل أو عناد فبشَّع الله سبحانه وتعالى عليهم بما افتتح الآية وهو حرف التوقع فقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ﴾. باللام التي هي توكيد لمضمون الكلام، وبـ(قد) التي هي لوقوع مرتقب مما كان خبراً أو مما سيكون علماً للمخاطب[٣].

الفرع الثالث: وجوه الإعراب:

﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ قال بعضهم: لغة أهل الحجاز الرسل بضمتين مضافاً كان أو غير مضاف ولغة تميم التخفيف مضافاً أو غير مضاف وأخذ أبو عمرو من اللغتين جميعاً فكان مخففاً إذا أضيف إلى حرفين ويثقَّل إذا أضيف إلى حرف أو لم يضف. (أَفَكُلَّما) ظرف ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ حذفت الهاء لطول الإسم أي نهوه ﴿فَفَرِيقًا﴾ منصوب بكذبتم ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[٤].

---

(١) الأصمعي: هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، إمام البصرة وعالمها، صدوق، أحد أئمة الأدب والنحو واللغة توفي سنة ٢١٥هـ، وقيل غير ذلك، ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م: ٦١٨/١ برقم (٤٢١٩).

(٢) ينظر: مختار الصحاح: ٢٩٣ «باب الهاء».

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ١٦/٢-١٧.

(٤) إعراب القرآن للنحاس: ٢٤٥/١.

الفرع الرابع: وجوه القراءات:

١- الرسل: قرأ الحسن بالرُّسل بتسكين السين وهو لغة أهل الحجاز والتحريك لغة تميم(١).

٢- ﴿وَأَيَّدَنَهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قرأ ابن محيصن: (وآيدناه) بالمد على وزن (أفعلناه) وقرأ الجمهور (أيدناه) مع وزن (فعَّلناه)، وقرأ ابن كثير ومجاهد القدْس حيث جاء في القرآن الكريم بإسكان الدال للتخفيف كي لا تتوالى ضمتان نحو (الحُلُم والحلْم) وهو لغة تميم، وقرأ الباقون بضم الدال على الأصل وهو لغة أهل الحجاز(٢).

الفرع الخامس: الوجوه البلاغية:

١- في قوله تعالى روح القدس إضافة الروح إلى القدس من إضافة الموصوف إلى الصفة وذلك للمبالغة في الإختصاص وهي معنوية بمعنى اللام(٣).

٢- في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ استفهام خرج عن حقيقته إلى التوبيخ والتقريع، وهو خطاب لأهل عصر النبي ﷺ بما فعله أسلافهم وقد قدم ذلك لتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم لا للقصر وإنه لم يقل قتلتم وإن أريد الماضي تفضيعاً لهذه الحالة(٤).

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تقديم خليل محي الدين الميس، راجعه: صدقي محمد جميل، خرج أحاديثه وعلق عليه: عرفان المشا، دار الفكر، بيروت: ٢٤/١، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٣١٦/١.

(٢) ينظر: حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ١٠٥/١ «باب وقراء»، والسبعة، لابن مجاهد: ١٦٤، والتيسير: ٧، وإرشاد المبتدي: ٢٢٧.

(٣) ينظر: تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)، مطبعة عثمانية: ١٧٧/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٧/١-١٧٨.

الفرع السادس: المعنى العام:

بين الله تعالى حال بني إسرائيل وما فعلوه مع النبي موسى والأنبياء والرسل من بعده، الذين أرسلهم الله تعالى لتطبيق شرعه، فكان استقبالهم بالطاعة أم بالتمرد والتحايل عليهم، وبعد ذلك أخص الله تعال بالذكر النبي عيسى عليه السلام(١). قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾(٢). القائل هو الله عز وجل، قد أنزل التوراة على موسى ﴿وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾، أي: أتبعنا موسى بالأنبياء والرسل يؤكدون ويحكمون على شريعة واحدة وهي شريعة موسى وكتابه التوراة إلى زمن عيسى عليه السلام(٣). وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: السبب في أن الله تعالى أجمل ذكر الرسل ثم فصل ذكر عيسى؛ وأفرده عن الرسل عَلَيْهِمُ السَّلامُ لتمييزه عنهم بكونه من أولي العزم وصاحب كتاب، وقيل: لأن من قبله من الرسل جاؤوا بشريعة موسى فكانوا متبعين له وليس كذلك عيسى؛ لأن شرعه نسخ أكثر شرع موسى عَلَيْهِ السَّلامُ(٤).

المسألة الثانية: عيسى أصله بالعبرانية أيشوع بهمزة ممالة بين بين أو مكسورة ومعناه السيد، وقيل: المبارك فعرب، والنسبة إليه عيسى وعيسوي وجمعه عيسَون بفتح السين وقد تضم، وأضافه إلى أمه رداً على اليهود إذ زعموا أن له أبا.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب المشتهر بتفسير الرازي، للإمام محمد بن فخر الدين الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ١٧٥/٣، روح المعاني: ٣١٦/١.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٨٧.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م: ٤٠٣/١، والتفسير الكبير: ١٧٦/٣.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٤٠٣/١، والتفسير الكبير: ١٧٦/٣.

ومريم بالعبرية الخادم، وسميت أم عيسى به ؛ لأن أمها نذرتها لخدمة بيت المقدس، وقيل العابدة، وبالعربية من النساء من تحب محادثة الرجال فهي كالزير من الرجال وهو الذي يحب محادثة النساء، وهو لا يناسب السيدة مريم أن يكون عربياً ؛ كانت بريئة عن محبة محادثة الرجال، اللهم إلا أن يقال سميت بذلك تمليحاً كما يسمى الأسود كافورا، وقال: بعض المحققين لا مانع من تسميتها بذلك بناء على أن شأن من تخدم من النساء ذلك، وقيل: هي التي تحب محادثة الرجال ولا تفجر، وعليه لا بأس بالتسمية(١).

قال الآلوسي رحمه الله: (والأولى أن التسمية وقعت بالعبري لا بالعربي بل يكاد يتعين ذلك كما لا يخفى على المنصف)(٢).

المسألة الثالثة: في البينات وجوه:

أحدها: المعجزات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحوها.

ثانيها: إنها الإنجيل.

ثالثها: وهو الأقوى أن الكل يدخل فيه ؛ فالبينة – من القول والكون – ما لا ينازعه منازع لوضوحه والتي لا شك فيها لكل ذي عقل ؛ ولأن المعجزات تبين صحة نبوته كما أن الإنجيل يبين كيفية شريعته فلا يكون للتخصيص معنى(٣).

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أيدناه أي قويناه على ذلك كله.

وفي روح القدس أقوال:

أولاً: إنه جبريل وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك، وإطلاق روح القدس عليه شائع فقد قال سبحانه: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾(٤)، والمراد من روح القدس الروح

(١) ينظر: روح المعاني: ٣١٦/١، وتفسير روح البيان: ١٧٧/١.

(٢) روح المعاني: ٣١٦/١.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٧٧/١، نظم الدرر: ١٧/٢.

(٤) سورة النحل: من الآية ١٠٢.

المقدسة كما يقال حاتم الجود ورجل صدق فوصف جبريل بذلك تشريفاً له وبياناً لعلو مرتبته عند الله تعالى. قال أبو علي الفارسي(١): التخفيف والتثقيل في «القدس» حسنان نحو العنُق والعنْق والطنُب والطنْب(٢).

وقيل: سمى الله تعالى جبريل روحاً وأضافه إلى القدس؛ لأنه كان بتكوين الله له روحاً من عنده من غير ولادة، وأضافه إلى القدس وهو الطهر لطهره وكرامته عند الله تعالى(٣).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: والدليل على أن روح القدس هو جبريل –كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية– ما روي عن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ ويقول رسول الله ﷺ إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ)(٤)، وفي الشعر:

---

(١) أبو علي: هو الإمام علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سلمان الفارسي، واحد زمانه في علم العربية أخذ عن الزجاج وابن السراج، قيل إنه أعلم من المبرد، توفي سنة ٣٧٧هـ. ينظر بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان: ٤٩٦/١-٤٩٧.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٤٠٤/١-٤٠٥، والجامع لأحكام القرآن: ٢٥/٢، وزاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ: ١١٢/١-١١٣.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٤٠٥/١.

(٤) المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م: ٥٥٤/٣، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه واللفظ له.

وَجِبْرِيـ . . ـلُ رَسُـ . . ـولُ اللهِ فِيـنَ . . ـا

ورُوحُ القُـ . ـدْسِ لَـ . ـيْسَ بِـ . ـهِ خَفَـ . ـاءُ[١]

وخص عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ بذكر التأييد بـ (روح القدس) لأنه تعالى خصه به من وقت صباه إلى حال كبره كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[٢]؛ ولأنه حفظه حتى لم يدن منه الشيطان ولأنه بالغ إثنا عشر ألف يهودي لقتله فدخل عيسى بيتاً فرفعه جل وعلا مكاناً علياً[٣].

وفي تأييده بجبريل ثلاثة أقوال:

أولاها: أنه أيدهُ به لإظهار حجته وأمر دينه، وثانيها: لدفع بني إسرائيل عنه إذ أرادوا قتله، وثالثها: إنه أيد به في جميع أحواله[٤].

ثانياً: إنه الإسم الأعظم الذي كان يحيي به الموتى رواه الضحاك عن ابن عباس[٥].

ثالثاً: إنه الإنجيل قاله ابن زيد، كما جاء في شأنه القرآن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٦]. وذلك لأنه سبب للحياة الأبدية والتحلي بالعلوم والمعارف التي هي حياة القلوب وانتظام المعاش الذي هو سبب الحياة الدنيوية[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ١/١٢٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢/٢٥.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١/١٢٤، روح المعاني: ١/٣١٧.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١/١٢٤.

(٦) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٧) ينظر: زاد المسير: ١/١١٢-١١٣.

رابعاً: إنه روح عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ نفسه ووصفها به لطهارتها عن مس الشيطان أو لكرامته عليه تعالى ولذلك أضافها إلى نفسه –على أن القدس من أسمائه تعالى– أو لأنه لم يضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث بل حصل من نفخ جبريل عليه السلام في ردع أمه فدخلت النفخة في جوفها(١).

وأما إطلاق اسم الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى الاسم الأعظم فمجاز ؛ لأن الروح هو الريح المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه ومعلوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك إلا إنه سمى كل واحد من هذه الثلاثة بالروح على سبيل التشبيه من حيث أن الروح كما أنه سبب لحياة الرجل فكذلك جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ سبب لحياة القلوب بالعلوم والإنجيل سبب لظهور الشرائع وحياتها، والاسم الأعظم سبب؛ لأن يتوسل به إلى تحصيل الأغراض إلا أن المشابهة بين مسمى الروح وبين جبريل وأتم **لوجوه:**

أحدها: خلق الله جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ من هواء يجعله نوراً، فكانت المشابهة أتم فكان إطلاق اسم الروح على جبريل أولى.

ثانيها: أن هذه التسمية فيه أظهر منها فيما عداه.

ثالثها: أن قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ يعني قويناه والمراد من هذه التقوية الإعانة وإسناد الإعانة إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ حقيقة وإسنادها إلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز فكان ذلك أولى.

رابعها: هو اختصاص عيسى بجبريل عَلَيْهِمَا السَّلامُ من آكد وجوه الاختصاص بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلامُ مثل ذلك لأنه هو الذي بشر مريم(٢).

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٣١٧/١.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٤٠٤/١–٤٠٥، التفسير الكبير: ١٧٧/٣.

قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: جملة مسبب عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ بحيث لا يتم الكلام السابق بدونه كالشرط بدون الجزاء وقد أدخلت الهمزة بين السبب والمسبب للتوبيخ على تعقيبهم ذلك بهذا من شأنهم على معنى: ولقد آتينا موسى الكتاب وأنعمنا عليكم بكذا وكذا لتشكروا بالتلقي بالقبول فعكستم بأن كذبتم واستكبرتم، ويحتمل أن يكون ابتداء كلام والفاء للعطف على مقدر كأنه قيل أفعلتم ما فعلتم فكلما جاءكم ثم المقدر يجوز أن يكون عبارة عما وقع بعد الفاء فيكون العطف للتفسير وأن يكون غيره مثل أكفرتم النعمة واتبعتم الهوى فيكون لحقيقة التعقيب وضعف هذا الاحتمال(١).

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ تذييل للآية بأسوأ تذييل بفعل مضارع يدل على استمرار فعلهم السيئ والقبيح بأنهم ما يزالون يقابلون الخير الذي يأتيهم إما بالتكذيب وإما بالقتل، وإن أمثال هذه الصورة الفضيعة المشوهة لتعطينا حقيقة هؤلاء بأبرز حقيقة فهم قد كذبوا موسى وعيسى وهم قد قتلوا زكريا ويحيى عَلَيْهِمَا السَّلامُ(٢).

قال الإمام الزمخشري رحمه الله في تفسيره: (فإن قلت: هلا قيل فريقاً قتلتم ؟ قلت هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية؛ لأن الأمر فضيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلب، وأن يراد: وفريقاً تقتلونهم بعد؛ لأنكم تحومون حول قتل محمد ﷺ لولا أني أعصمه منكم)(٣).

ولذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٤).

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٤٠٦/١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، أعيد طبعه بالأوفست، دار المعرفة، بيروت، لبنان: ٣٧٧/٢-٣٧٨.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت: ٢٩٥/١.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٦٧.

الفرع السابع: ما يستفاد من الآية :

١-بين الله تعالى لنا في هذا النص القرآني فضله على بني إسرائيل عندما أرسل إليهم الكثير من الأنبياء والمرسلين، ولكنهم لم يشكروا نعمة الله عليهم إذ بعث منهم الأنبياء، فقاموا بقتلهم وتكذيبهم، وبهذا العمل لا يستحقون أن يكونوا من أهل رحمة الله تعالى.

٢-نفهم من النص القرآني بأنه لا يجوز إخضاع أحكام الشرائع السماوية إلى هوى النفس، أو تفسيرها بما يرضي السلطان، وغير ذلك كما يفعل الكثير من الناس الآن.

٣-يتبين لي من خلال النص القرآني بأن العداوة بيننا وبين اليهود مبدأ ثابت لا يتغير ولا يزول، ولا يمكن أن تحل المحبة محل العداوة والسلام محل الحرب، لأنهم قتلوا الأنبياء ولم يرضوا في شرع الله تعالى، ونحن على شرع الله وسنة نبيه محمد ﷺ، ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(١).

(١) سورة البقرة: من الآية ١٢٠.

المطلب الثاني:

من سورة البقرة

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[١].

الفرع الأول: التحليل اللغوي:

قوله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا﴾ الفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة والإفضال الإحسان، وأفضل عليه وتفضل بمعنى؛ والمتفضل الذي يدعي الفضل على أقرانه، يريد أن يتفضل عليهم؛ وفضله على غيره تفضيلاً أي حكم له بذلك أو صيره كذلك؛ وفاضله ففضله من باب نصر أي غلبه بالفضل؛ والفضلة والفضالة ما فضل من الشيء؛ وفضل منه شيء من باب نصر وفيه لغة ثانية من باب فهم[٢].

قوله تعالى: ﴿كَلَّمَ﴾ تكلم الرجل تكلماً وتكلاماً وكلمه كلاماً جاؤوا به على موازنة الأفعال وكالمه ناطقه وكليمك الذي يكالمك، وقيل: الذي تكلمه ويكلمك[٣].

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَتَلَ﴾ القتل معروف وبابه نصر وقتله قِتلة سوء بالكسر، والمقاتلة القتال وقاتله قِتالاً وقَتالاً والمقاتلة –بكسر التاء– القوم الذين يصلحون للقتال، وأَقْتَله عرضه للقتل، وقُتِّلوا تقتيلاً شدد للكثرة واستقتل أي استمات يعني لم يبال بالموت لشجاعته، وتقاتل القوم واقتتلوا بمعنى[٤].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) ينظر: مختار الصحاح: ٢١٢ «باب الفاء».

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥٢٢/١٢–٥٢٥ مادة «كلم».

(٤) ينظر: مختار الصحاح: ٢١٨ «باب القاف».

قوله تعالى: ﴿كَفَرَ﴾ الكفر ضد الإيمان وقد كفر بالله من باب نصر وجمع الكافر كفار وكفرة وكِفَار بالكسر مخففاً كجائع وجياع ونائم ونيام وجمع الكافرة كوافر والكفر أيضاً جحود النعمة وهو ضد الشكر وقد كفره من باب دخل وكفراناً أيضاً بالضم، والكفر بالفتح التغطية وبابه ضرب والكَفْر أيضاً القرية، والكافر الليل المظلم لأنه ستر بظلمته كل شيء، وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره، قيل: ومنه سمي الكافر؛ لأنه يستر نعم الله عليه والكافر الزراع؛ لأنه يغطي البذر بالتراب والكفار الزراع، وأكفره دعاه كافراً يقال لا تكفر أحداً من أهل قبلتك أي لا تنسبه إلى الكفر(١).

الفرع الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها:

لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقات اصطفاءه لطالوت عَلَيْهِ السَّلامُ على بني إسرائيل وتفضيل داود عَلَيْهِ السَّلامُ عليهم بالملك والنبوة، ثم بعدها خاطب نبينا عليه الصلاة والسلام بأنه من المرسلين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وكان ظاهر اللفظ يقتضي التسوية بين المرسلين ذكر في هذه الآية أن المرسلين عَلَيْهِمُ السَّلامُ ليسوا في درجة واحدة وإنما هم متفاوتون في الدرجات عند ربهم فبعضهم أفضل من بعض فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٢).

الفرع الثالث: وجوه الإعراب:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: مفعول المشيئة محذوف ؛ لكونه مضمون الجزاء، وقيل تقديره ولو شاء هدى الناس جميعاً ما اقتتل(٣).

---

(١) ينظر: مختار الصحاح: ٢٣٩ «باب الكاف».

(٢) ينظر: نظم الدرر: ١/٤، صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت: ١/١٦٠.

(٣) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/٢٤٦.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ فإنه تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً والجملة لا محل لها من الإعراب وقيل بدل من فضلنا، ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ قيل: حال من ﴿بَعْضُهُمْ﴾ على معنى ذا درجات، وقيل: انتصابه على المصدر؛ لأن الدرجة بمعنى الرفعة فكأنه قيل ورفعنا بعضهم رفعات، وقيل: التقدير على أو في درجات فلما حذف حرف الجر وصل الفعل بنفسه، وقيل: إنه مفعول به ثانٍ لـ﴿رَفَعَ﴾ على أنه ضمن معنى بلغ، وقيل: إنه بدل اشتمال وليس بشيء(١).

الفرع الرابع: القراءات:

قرأ أبن نهيك(٢) وابن السميفع(٣): منهم من (كالم الله) بألف خفيفة اللام من المكالمة(٤). كلم الله بالنصب(٥).

الفرع الخامس: الوجوه البلاغية :

في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الإشارة بالبعيد لبعد مرتبتهم في الكمال(٦).

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ الآية تفصيل للتفضيل المذكور ويسمى هذا عند أهل البلاغة: التقسيم(٧). التفات في قوله تعالى: ﴿كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ حيث التفت من ضمير المتكلم –نا– في قوله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا﴾ إلى ذكر الاسم الصريح وهو لفظ الجلالة وذلك لتربية المهابة

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٢/٣-٣.

(٢) ابن نهيك: هو أبو الشعثاء بشير بن نهيك البصري، عالم ثقة، حدث عنه الوليد بن بركة وأبو مجلز، حديثه في الكتب الستة. ينظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، الطبعة التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ: ٤/٤٨٠-٤٨١.

(٣) ابن السميفع: وهو محمد بن عبد الرحمن بن سميفع، أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة، قيل أنه قرأ على نافع وطاوس بن كيسان عن ابن عباس، وهو ضعيف، ينظر غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، عنى بنشره: ج برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م: ٢/١٦١-١٦٢.

(٤) ينظر: زاد المسير: ١/٣٠١، تفسير إرشاد العقل السليم: ١/٢٤٦.

(٥) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم: ١/٢٤٦، روح المعاني: ٣/٢.

(٦) ينظر: روح المعاني: ٣/٢.

(٧) ينظر: روح المعاني: ٣/٢، صفوة التفاسير: ١/١٦١.

والهيبة في قلب السامع، وإشارة لإظهار عظمة مرتبة التكليم عن رفع الدرجات[١]. في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ يَفْعَلُ مَا مَن كَفَرَ﴾، تقسيم وطباق. إطناب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ حيث كرر جملة لو شاء[٢].

الفرع السادس: المعنى العام:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ أشار الله تعالى إلى جماعة المرسلين الذين سبقوا نبينا محمداً ﷺ والذي هو من جملتهم كما قال في نهاية الآية السابقة: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بأنه سبحانه قد فضل بعضهم على بعض بقوله: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الدرجة والرتبة لا في النبوة؛ لأن النبوة من حيث هي واحدة لا تفاضل فيها، وتفضيل البعض على البعض بأن خصصناه حسبما تقتضيه مشيئتنا بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفضيل للتفضيل المذكور إجمالاً أي فضله بأن كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عَلَيْهِ السَّلامُ إذ كلمه تعالى ليلة الخيرة وفي الطور، وآدم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في المعارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ والآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ أي قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي بالروح المطهرة، كقولك رجل صدق وهو جبريل في الأظهر كما مر تفصيل ذلك.

---

(١) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم: ٢٤٥/١.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير: ١٦١/١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/٢-٢٤٠، وروح البيان: ٣٩٤/٣-٣٩٥.

وإفراد عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ بما ذكر لرد ما بين أهل الكتابين في شأنه عَلَيْهِ السَّلامُ من التفريط والإفراط، والآية ناطقة بأن الأنبياء عَلَيْهِ السَّلامُ متفاوتو الأقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بدليل قاطع(١).

فإن قيل كيف نجمع بين هذه الآية وبين الثابت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: (جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه فقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم وجهي قال ادعوه فدعوه قال ألطمت وجهه قال: يا رسول الله إني مررت باليهودي فسمعته يقول والذي اصطفى موسى على البشر قال: قلت أعلى محمد ﷺ قال فأخذتني غضبة فلطمته قال لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الصور)(٢)، وحديث: (لا تفضلوني على يونس بن متي ولا تخايروا بين الأنبياء)(٣).

قلنا يمكن الجمع من وجوه:

الأول: أنه كان قبل أن يعلم بالتفضيل.

الثاني: أنه قال هذا من باب التواضع.

الثالث: إن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحالة التي تحاكموا إلى النبي ﷺ فيها علم للتخاصم والتشاجر، والتي تكون مدعاة لما يتوهم من النقص من المفضول.

الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

---

(١) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم: ٢٤٦/١.

(٢) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ): ٢٣٣/٢١، باب (إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب).

(٣) تأويل مختلف الحديث عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م: ١١٦/١.

الخامس: مقام التفضيل ليس لأحد وإنما هو إلى الله عز وجل وما عليكم إلا الإنقياد والتسليم له والإيمان به(١).

السادس: أنه نهي عن إطلاق لفظ التفضيل لا منع اعتقاد ذلك المعنى لما يتوهم منه نقص المفضول عند اللفظ، وأما جواز الاعتقاد فلأن الله تعالى قد أخبرنا بأن الرسل متفاضلون، فلا نتلفظ بالتفضيل اتباعاً لما قاله ﷺ ونعتقد تصديقاً بقول ربنا(٢).

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ أي: الذين جاءوا من بعد الرسل من الأمم المختلفة وهو ظاهر اللفظ، وقيل من بعد موسى وعيسى، فالاثنان جمع(٣)، أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ﴾ من جهة أولئك الرسل ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض عن سننهم المؤدي إلى الاقتتال ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ استدراك من الشرطية للإيذان بأن الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداءً كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا اختلافاً فاحشاً ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ يَفۡعَلُ﴾ بما جاءت به أولئك الرسل من البينات وعلموا به ﴿مَّن كَفَرَ﴾ بذلك كفر لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ﴿مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما أن كل تحت ملكوته تعالى(٤).

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠٤/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/٢-٢٤٠.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٠/٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٢/٢.

(٤) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم: ٢٤٥/١-٢٤٧، وتفسير روح البيان: ٣٩٥/٣.

على أن هذا الاقتتال بين الناس بعد كل نبي ليس بخارج عن سلطان الله وهيمنته فإن الله قادر أصلاً أن يحول دون هذا الاقتتال، ولكنه سبحانه حد لعباده حدوداً كي لا يتعدونها وألزمهم بفرائض ليس لهم أن يضيعوها أو يفرطوا فيها وركب فيهم من مذخور العقل والإرادة ما هو لمقتضيات الحياة(١).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ تذييل بأن ما ذكر في الآية من تفضيل الرسل بعضهم على بعض واختلاف من جاء من بعدهم هو حاصل بإرادة الله تعالى فإنه فعال لما يريد.

الفرع السابع: ما يستفاد من الآية :

١- من حكمة الله تعالى أنه أرسل الرسل والأنبياء لهداية الناس لما فيه من الخير والصلاح في الدنيا والآخرة بتطبيقهم واجباتهم تجاه الخالق والقيام بحقوق العباد.

٢- ومن حكمه تعالى أنه فضل الأنبياء بعضهم على بعض من خلال الدرجة والمرتبة والمعجزة، وبحسب ما يناسب أهل كل زمان.

٣- وكذلك بين النص القرآني جواز تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض، رغم شرط أنهم كلهم كانوا قدوة لأقوامهم في حياتهم وعملهم وعبادتهم، ولكن على شرط أن لا يجر ذلك التفاضل إلى الفتنة والعصبية، بين الديانات أو المذاهب.

(١) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: ٦/٢٠٤.

المبحث الثاني
آيات روح القدس في سورة المائدة

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ فِيهَا فَتَكُونُ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(١).

الفرع الأول: التحليل اللغوي:

١- قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِي﴾: نعم النعيم والنعمى والنعماء والنعمة كله الخفض والدعة والمال وهو ضد البأساء والبؤسى وجمع النعمة نعم وأنعم كشدة وأشد والنعم بالضم خلاف البؤس يقال يوم نعم ويوم بؤس والجمع أنعم وأبؤس ونعم الشيء نعومة أي صار ناعماً ليناً، وكلك نعم ينعم مثل حذر يحذر، وفيه لغة ثالثة مركبة بينهما نعم ينعم مثل فضل يفضل ولغة رابعة نعم ينعم بالكسر فيهما وهو شاذ والتنعم الترفه والاسم النعمة والنعمة بالفتح التنعيم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم والنعمة اليد البيضاء الصالحة والصنيعة والمنة(٢)، والإنعام (إيصال الإحسان إلى الغير ولا يقال إلا إذا كان الواصل إليه ناطقاً فلا يقال أنعم زيد على فرسه)(٣).

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٢/٥٧٩-٥٨١ مادة «نعم».

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ: ١/٩٩.

٢- ﴿ٱلۡمَهۡدِ﴾ مَهَدَ لنفسه يمهد مهدا كسب وعمل والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهداً ووطأته يقال للفراش مهاد لوثارته. كما جاء في التنزيل: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٍ﴾(١). والجمع أمهدة ومُهْدُ والمهاد أجمع من المهد كالأرض جعلها الله مهاداً للعباد وأصل المهد التوثير، يقال مهدت لنفسي ومهدت أي جعلت لها مكاناً وطيئاً سهلا ومهد لنفسه خيراً وامتهده هيأه وتوطأه، ومنه قوله تعالى ﴿فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾(٢) أي يوطئون والمهد مهد الصبي ومهد الصبي موضعه الذي يهيأ له ويوطأ لينام فيه وفي التنزيل ﴿مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾(٣). والجمع مهود مهد وتمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها وتمهيد العذر قبوله وبسطه(٤).

٣- ﴿وَكَهۡلٗا﴾: كهل الكهل الرجل إذا وخطه الشيب ورأيت له بجالة الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب، وفي فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (هذان سيدا كهول الجنة) الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين وقيل هو من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين وقد اكتهل الرجل وكاهل إذا بلغ الكهولة فصار كهلاً، وقيل: هو من أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين وقد قيل إنه عطف الكهل على الصفة أراد بقوله في المهد صبياً(٥).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤١.

(٢) سورة الروم: من الآية ٤٤.

(٣) سورة مريم: من الآية ٢٩.

(٤) لسان العرب: ٣/٤١٠-٤١١ مادة «مهد».

(٥) ينظر: لسان العرب: ١١/٦٠٠ مادة «كهل».

٤- ﴿وَتُبْرِئُ﴾: برئت من المرض وبرأ المريض يبرأ ويبرؤ برءاً وبروءاً وأهل العالية يقولون: برأت أبرأ برءاً وبروءاً وأهل الحجاز يقولون: برأت من المرض برءاً بالفتح وسائر العرب يقولون: برئت من المرض وأصبح بارئاً من مرضه وبريئاً من قوم براء كقولك صحيحاً وصحاحاً فذلك ذلك غير أنه إنما ذهب في براء إلى أنه جمع بريء، وقد يجوز أن يكون براء جمع بارئ كجائع وجياع وصاحب وصحاب، وقد أبرأه الله من مرضه إبراء[١]. (الإبراء تمام التخلص من الداء والداء ما يوهن القوى ويغير الأفعال العامة للطبع والاختيار)[٢].

٥- ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾: كمه الكمه في التفسير العمى الذي يولد به الإنسان كمه بصره بالكسر كمها وهو أكمه إذا اعترته ظلمة تطمس عليه والأكمه الذي يولد أعمى وربما جاء الكمه في الشعر العمى العارض، والكمه يكون خلقة ويكون حادثاً بعد بصر وربما قالوا للمسلوب العقل أكمه والأكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل[٣].

٦- ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾: برص البرص داء معروف نسأل الله العافية منه ومن كل داء وهو بياض يقع في الجسد، برص والأنثى برصاء ورجل أبرص وحية برصاء في جلدها لمع بياض وجمع الأبرص برص، وأبرص الرجل إذا جاء بولد أبرص ويصغر أبرص فيقال: بريص ويجمع برصانا وأبرصه الله وسام أبرص مضاف غير مركب ولا مصروف الوزغة وقيل هو من كبار الوزغ[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٣١/١ مادة «برأ».

(٢) التعاريف: ٣٠/١.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥٣٦/١٣ مادة «كمه».

(٤) ينظر: لسان العرب: ٥/٧ مادة «برص».

٧- ﴿كَفَفْتُ﴾: كفف كف الشيء يكفه كفا جمعه والكف اليد أنثى وتكفف الشيء طلبه بكفه(١). الكافة الجميع من الناس يقال لقيتهم كافة أي كلهم، والمكفوف الضرير وقد كف بصره وكفه عن الشيء فكف وهو يتعدى ويلزم وباب الكل رد(٢).

الفرع الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها :

في الآية السابقة ذكر الله سؤال الرسل وجوابهم بالإجمال ثم بين في هذه الآية بالتفصيل سؤال واحد منهم عن التبليغ وجوابه عن السؤال لإقامة الحجة على من يدعون اتباعه، وهم الذين حاججتهم هذه السورة فيما يقولونه في رسولهم أوسع الاحتجاج وأقامت عليهم برهاناً في أثر برهانٍ، وقدم الله تعالى على هذا السؤال وعلى الجواب ما خاطب به هذا الرسول من بيان نعمته عليه وآياته له التي كانت منشأ افتتان الناس به(٣).

الفرع الثالث: الوجوه الإعرابية :

١- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: الجملة بدل من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ وقد نصبت بإضمار أذكر.

٢- قوله تعالى: (يا عيسى) مبني على ضمة مقدرة أو على فتحة كذلك إجراء له مجرى يا زيد بن عمرو في جواز ضم المنادى وفتحه عند الجمهور، وهذا إذا أعرب (ابن مريم) صفه لعيسى أما إذا أعرب بدلاً أو بياناً فلا يجوز تقدير الفتحة إجماعاً.

٣- قوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ ظرف لـ ﴿نِعْمَتِي﴾ أي اذكر إنعامي عليكما وقت تأييدي لكما، أو حال منها أي اذكرها كائنة وقت ذلك، وقيل هو بدل

(١) ينظر: لسان العرب: ٩/٣٠١-٣٠٣ مادة «كفف».

(٢) ينظر: مختار الصحاح: ٢٣٩ باب «الكاف».

(٣) ينظر: روح المعاني: ٧/٥٦، تفسير المنار: ٧/٢٤٤.

اشتمال منها وهو في المعنى تفسير لها، وجوز أن يكون مفعولاً به على أنه يتسع في الظروف ما لا يتسع في غيرها[١].

الفرع الرابع: القراءات:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ قرأ بالإدغام أبو عمرو وهشام وحمزة[٢] والكسائي وخلف[٣][٤].

٢- قوله تعالى: ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾ قرأ حمزة بالنقل وقفاً[٥].

٣- قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا﴾ قرأ نافع ويعقوب طائرا وهو إما اسم مفرد وإما اسم جمع كباقر وسامر، وكذا قرأها أبو جعفر في الموطنين[٦].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن، لابن سيده: ٣/٤٦٦-٤٦٩.

(٢) حمزة: هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أدرك الصحابة، قرأ القرآن على الأعمش وجعفر الصادق وغيرهما، وقرأ عليه الكسائي وسليم بن عيسى، كان إماماً حجة حافظاً للحديث بصيراً في الفرائض، توفي سنة ١٥٦هـ، ينظر: غاية النهاية: ١/٢٦١-٢٦٣.

(٣) خلف: هو أبو محمد بن هشام بن ثعلب وقيل ابن طالب بن غراب، البغدادي، المقري، البزار، أحد الاعلام وله اختيار في القراءة، قرأ على سليم عن حمزة وهو أحد العشرة، توفي سنة ٢٢٩هـ، ينظر: غاية النهاية: ١/٢٧٢-٢٧٤.

(٤) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي (ت ١١٧هـ)، حققه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة: ٢٠٣.

(٥) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، عبد الفتاح القاضي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: ٩٦.

(٦) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمياطي (ت ١١٧هـ)، حققه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة: ٢٠٣، البدور الزاهرة: ٩٦.

٤- قرأ أبو عمرو وهشام وحمزة والكسائي وخلف بالإدغام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ﴾.

٥- وقرأ أبو عمرو وهشام بالإدغام في قوله تعالى: ﴿إِذْ جِئْتَهُم﴾[١].

٦- وقرأ حمزة والكسائي وخلف إلا ساحر[٢].

٧- رقق ورش الراء من سحر[٣].

الفرع الخامس: الوجوه البلاغية:

١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ ذكر بصيغة الماضي مع أن الأمر في المستقبل دلالة على تحقق وقوع الأمر[٤].

٢- قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِي﴾ كرر هنا الإذن أربع مرات وفي سورة آل عمران[٥] مرتين؛ لأن ذكره هنا للامتنان وهناك للإخبار فناسب هذا التكرار هنا[٦].

٣- قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ وضع الموصول هنا موضع ضميرهم فلم يقل قالوا ؛ لذمهم بما في حيز الصلة حيث ذكر كفرهم[٧].

الفرع السادس: المعنى العام:

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي اذكروا أيها المؤمنون وقت قول الله تعالى لعيسى ابن مريم وهو يوم القيامة ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ أي اذكر نعمتي عليك في خلقي إياك من أم بلا أب وجعلتك آية قاطعة على كمال قدرتي وعلى

---

(١) ينظر: الإتحاف: ٢٠٣، وسورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٥٨/٧، إتحاف فضلاء البشر: ٢٠٣.

(٣) ينظر: البدور الزاهرة: ٩٦.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٨٤/٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٦) ينظر: روح المعاني: ٥٨/٧.

(٧) ينظر: روح المعاني: ٥٨/٧.

والدتك حيث جعلتك لها برهانا على براءتها مما اتهمها به الظالمون والجاهلون من الفاحشة[١].

وذكر الله تعالى لنعمه على عبده عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ ليس توبيخاً له وتقريعاً بل لإظهار أمره عَلَيْهِ السَّلامُ بتعداد تلك النعم واعتداداً بها وتلذذاً بذكرها على رؤوس الأشهاد وليكون حكاية ذلك على ما أنبا عنه النظم الكريم توبيخاً للكفرة من الفريقين المختلفين في شأنه عَلَيْهِ السَّلامُ إفراطاً وتفريطاً وإبطالاً لقولهم جميعاً[٢].

وكون هذا التأييد نعمة عليه عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مما لا خفاء فيه، وأما كونه نعمة على والدته فلما ترتب عليه من براءتها مما نسب إليها –وحاشاها. و(روح القدس) هو جبريل عليه السلام كما بيناه في المطلب الأول.

﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي: طفلا صغيراً، وما في النظم الكريم أبلغ من التصريح بالطفولية وأولى؛ لأن الصغير يسمى طفلاً إلى أن يبلغ الحلم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ للإيذان بعدم تفاوت كلامه عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ طفولية وكهولة لا لأن كلا منهما ءاية فإن التكلم في الكهولة معهود من كل أحد، وقال بعضهم: إن تكلمه في الكهولة معجزة مستقلة؛ لأن المراد تكلم الناس في الطفولة وفي الكهولة حين تنزل من السماء لأنه عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حين رفع لم يكن كهلا[٤].

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ﴾ أي اذكر وقت تعليمي لك من غير معلم ﴿ٱلْكِتَٰبَ فِيهَا﴾ أي جنسهما.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١١٥/٢، تفسير روح البيان: ٤٥٩/٦.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٥٦/٧، تفسير روح البيان: ٤٥٩/٦.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٢٧/٧، روح المعاني: ٥٧/٧.

(٤) ينظر: تفسير روح البيان: ٤٥٩/٦، روح المعاني: ٥٧/٧.

وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب ﴿فَتَكُونُ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ خصهما بالذكر إظهاراً لشرفهما على الأول.

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ أي تصور ﴿مِنَ ٱلطِّينِ﴾ أي جنسه ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ أي هيئة مثل هيئته ﴿بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ أي في تلك الهيئة المشبهة ﴿فَتَكُونُ﴾ بعد نفخك من غير تراخ ﴿طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ أي حيواناً يطير كسائر الطيور.

قوله تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ...﴾ عطف تذكيره سبحانه بإبراء الأكمه والأبرص على ما قبله من النعم مباشرة فلم يبدأ بإخراج الموتى فكان عطفاً على قوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ ولعل النكتة في ذلك أن الإبراء من جنس شفاء المرض الذي يقع بعضه على أيدي غير الأنبياء فلما كان كذلك ذكر بالتبع ولما كان إحياء الموتى وإخراجهم أعظم جعل نعمة مستقلة فقرن بإذ[١].

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ يعني اليهود حين هموا بقتله ولم يتمكنوا منه ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي المعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر، ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وهو ما يدل على أنهم قصدوا اغتياله عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ المحوج إلى الكف أي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك إياهم بالبينات[٢]. حيث قال الذين جحدوا نبوتك: إن هذا الرجل ساحر قوي على السحر وما هذه الخوارق إلا سحر ظاهر واضح[٣].

(١) ينظر: جامع البيان: ١٢٧/٧، تفسير المنار: ٢٤٦/٧.

(٢) روح المعاني: ٥٧/٧-٥٨.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٩/٣، صفوة التفاسير: ٣٧٣/١.

الفرع السابع: ما يستفاد من الآية:

١-يبين الله تعالى في هذا النص القرآني قدرته ونعمته المطلقة التي أنعمها على النبي عيسى عليه السلام وأمه، إذ أعطاه معجزات لا يستطيع الوصول إليها علم الطب إلى حد الآن، وهي كيف كان يرد البصر؟ وكيف كان يحيي الموتى؟ وكذلك قصة خلقه من غير أب، فهذه قدرة الله على عباده، فقد علمه الله تعالى الوسيلة، ولكن التغير والشفاء وهو من عند الله وحده.

٢-دفع الله تعالى في هذا النص القرآني الشبهة المنسوبة إليه، من قبل اليهود والنصارى حيث قالوا إن المسيح ابن الله، فأجابهم الله تعالى بأنه (ابن مريم) وكل لفظ (ابن) يراد به شيء مخلوق. ولم يستعمل لفظ (ابن) في جميع الشرائع السابقة بمعنى آخر.

المبحث الثالث

آيات روح القدس في سورة النحل

قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(١).

الفرع الأول: التحليل اللغوي:

﴿نَزَّلَهُۥ﴾ نزل ينزل نزولا ومنزلا وأنزله غيره واستنزله بمعنى ونزله تنزيلاً، والتنزيل الترتيب والتنزل النزول في مهلة والنازلة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، والنزيل الضيف، والنزول الحلول وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نزولاً ومنزلاً ومنزلاً بالكسر شاذ وتنزله وأنزله ونزله بمعنى، قال بعضهم لا فرق عندي بين نزلت وأنزلت إلا صيغة التكثير في نزلت(٢).

قوله تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ ثبت الشيء يثبت ثباتاً وثبوتاً فهو ثابت وثبيت وثبت، وأثبته هو وثبته، وشيء ثبت ثابت، ويقال ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتاً فهو ثابت إذا أقام به، التثبيت تفعيل من الثبات وهو التمكن في الموضع الذي شأنه الإنزال، وأثبته السقم إذا لم يفارقه، وثبته عن الأمر كثبطه ورجل ثبت الغدر إذا كان ثابتاً في قتال أو كلام، وقد ثبت ثباتة وثبوتة، وتثبت في الأمر والرأي واستثبت تأنى فيه ولم يعجل، واستثبت في أمره إذا شاور وفحص عنه والثبيت الفارس الشجاع(٣).

﴿وَهُدًى﴾ ضد الضلال وهو الرشاد والدلالة، قال بعضهم هداه الطريق وهي لغة أهل الحجاز وهداه للطريق وإلى الطريق هداية وهداه يهديه هداية إذا دله على الطريق وهديته الطريق والبيت هداية أي عرفته لغة أهل الحجاز وغيرهم يقول هديته إلى الطريق وإلى الدار ويقال هديته الطريق بمعنى عرفته فيعدى إلى مفعولين ويقال هديته

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٦٥٦/١١ مادة «نزل».

(٣) ينظر: لسان العرب: ١٩/٢ مادة «ثبت».

إلى الطريق وللطريق على معنى أرشدته الطريق فيعدى بحرف الجر كأرشدت قال ويقال هديت له الطريق على معنى بينت له الطريق(١).

الفرع الثاني: مناسبة الآية لما بعدها :

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة أنه تعالى قد يبدل آية مكان آية بحكمة يريدها وأن الكافرين لا يؤمنون بذلك ويقولون يا محمد إنما أنت مفتر فيما تتلو من آي الكتاب، فكأنه قيل فما أقول؟ فقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾(٢).

الفرع الثالث: الوجوه الإعرابية :

قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ عطف على المصدر المنسبك –من قوله ليثبت– لأنه مجرور فيكون هدى وبشرى مجرورين.

وجوز أن يكونا مرفوعين على أنهما خبرا مبتدأ محذوف أي وهو هدى وبشرى والجملة في موضع الحال من الهاء في نزله(٣).

الفرع الرابع: القراءات :

نزله: خففه المكي والبصري وشدده الباقون(٤).

قرئ قوله تعالى: «ليثبت» بالتخفيف(٥). قرأ الجماعة بالياء المشددة، وقرأ أبو حيوة بتخفيف الباء(٦).

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٣٥٣/١٥-٣٥٥ مادة «هدى».

(٢) ينظر: جامع البيان: ١٧٧/١٤، نظم الدرر: ٢٥٤/١١-٢٥٥.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء محب الدين عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، إحياء التراث العربي: ٨٥/٢، إعراب القرآن، لابن سيده: ١٦٢/٦.

(٤) ينظر: البدور الزاهرة: ١٨٠.

(٥) ينظر: تفسير الكشاف: ٤٢٩/٢، روح المعاني: ٢٣٢/١٤.

(٦) ينظر: مختصر ابن خالويه: ٧٤.

خامساً: البلاغة:

قال تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ و﴿وَهُدًى﴾ فيه تفنن في الأسلوب والنكتة فيه أن التثبيت أمر عارض بعد حصول المثبت عليه فاختير فيه صيغة الحدوث مع ذكر الفاعل إشارة إلى أنه فعل الله تعالى مختص به بخلاف الهداية والبشارة فإنهما يكونان بالواسطة.

قوله تعالى: ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ عدل عن ضميرهم فلم يقل لهم لمدحهم بكلا العنوانين(١).

الفرع السادس: المعنى العام :

﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ أي القرآن، وقيل: أي الناسخ المدلول بما تقدم في الآية السابقة ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ على ما مر تفصيله في سورة البقرة(٢).

وفي صيغة التفعيل ﴿نَزَّلَهُ﴾ -بناء على القول بأنها تفيد التدريج- من المناسبة لمقتضى المقام لما فيها من الإشارة إلى أنه أنزل دفعات على حسب المصالح ﴿من رَّبِّكَ﴾ في إضافة الرب إلى ضميره ﷺ من الدلالة على تحقيق إفاضة آثار الربوبية عليه ﷺ، وكأنه اعتناء بأمر هذه الدلالة فلم يقل من ربكم على أن في ترك خطابهم من حط قدرهم ما فيه.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي ملتبساً بالحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها ناسخاً كان أو منسوخاً ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي على الإيمان بما يجب الإيمان لما في القرآن الكريم من الحجج القاطعة أو على الإيمان بأنه كلامه تعالى فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح رسخت عقائدهم واطمأنت به قلوبهم.

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٢٣٢/١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٧.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ عطف على محل ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ عند الزمخشري وهو نظير زرتك لأحدثك وإجلالاً لك أي تثبيتاً لهم وهداية وبشارة[١] للمسلمين بأن لهم الجنة[٢].

والمراد بالمسلمين الذين آمنوا ونقل الآلوسي عن الطيبي[٣] أنه قال: إن نزله روح القدس بدل نزله الله فيه زيادة تصوير في الجواب وزيد قوله تعالى ﴿بِالْحَقِّ﴾ لينبه على دفع الطعن بألطف الوجوه ثم نعي قبيح أفعالهم بقوله تعالى ليثبت.. الخ تعريضاً بأنهم متنزلون ضالون موبخون منذرون بالخزي والنكال واللعن في الدنيا والآخرة وأن عذابهم في خلاف ذلك ليزيد في غيضهم وحنقهم[٤].

الفرع السابع: ما يستفاد من الآية:

القرآن الكريم منهج الحياة السليمة ومن اتبعه فقد هدي إلى الحق وله البشرى في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، ومن زاغ عنه من المسلمين وغيرهم شر لهم وخسران.

بين الله عز وجل بهذه الآية نزاهة جبريل – عليه السلام – وطهارته ؛ لأنه الناقل ما بين السماء والأرض، وأن ما ينزل من (القرآن الكريم) هو حق، والغاية منه تثبيت المؤمنين عند زعازع الحياة، وعند كل ابتلاء يقابلهم، وهو هدى للآخرين إذا أرادوا الهداية، وهو بشرى لكل من أسلم لله تعالى.

---

(١) ينظر: تفسير الكشاف: ٤٢٩/٢.

(٢) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمع الإمام مجد الدين الفيروز آبادي، دار الفكر: ٢٣٠.

(٣) الطيبي: هو العلامة الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي، عالم المعقول والعربية والمعاني والبيان، كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنة، ذا ثروة مالية من الإرث والتجارة ولم يزل ينفق ماله على طلبة العلم حتى صار فقيراً آخر حياته، توفي متوجهاً إلى القبلة سنة ٧٤٣هـ. ينظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأونروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٧م: ١٤٦/١-١٤٧.

(٤) ينظر: روح المعاني: ٢٣٢/١٤.

(

بسم الله الرحمن الرحيم

)

الخاتمة

الحمد له الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاة ربي وسلامه على من ختم الله به الرسالات والنبوات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

لكل بداية نهاية وختام، وسأختم بحثي هذا بأهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا، وكما يأتي:

١- اختلفت الأقوال في معنى (روح القدس) كما بينا، ولكن تبين لي بأن الراجح منها وهو (جبريل عليه السلام) والقدس وهو التطهير، ولقب جبريل – عليه السلام – بذلك لطهارته. والله أعلم.

٢- أظهر الله سبحانه وتعالى بشاعة حال بني إسرائيل وخسة عقولهم وما بلغوه من استكبار وتكذيب لله ولرسله، فقد أرسل الله إليهم الأنبياء والرسل الكثيرين فبدل من أن يذعنوا ويشكروا نعمة الله عليهم قاموا بتكذيبهم وقتلهم ومازادهم ذلك إلا استكبارا وتكذيباً.

٣- لا يتم شيء إلا بإرادة الله تعالى لأنه الفعال المطلق والجميع تحت إرادته وتصرفه، ومن إرادته تعالى أنه أرسل الرسل والأنبياء ليكونوا دعاة خير إلى رب العالمين، ومن إرادته تعالى أنه جعل هؤلاء الرسل بعضهم أفضل من بعض بمنازل لا يعلمها إلا هو ليس ذاك مدعاة للعصبية ولكن يختص برحمته من يشاء.

٤- القرآن الكريم منهج الحياة السلمية ومن اتبعه فقد اهتدى إلى الحق وله البشرى في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، وقد نزل بالحق ليثبت المؤمنين

عند انتشار فتن الحياة وعند كل ابتلاء يقابلهم وهو هدى للآخرين إذا أرادوا الهداية وهو بشرى لكل من أسلم لله تعالى.

٥- ويجد الباحث أن التفضيل بين الأنبياء ليس المراد به مرتبة النبوة، وإنما المقصود به، الدرجة والمرتبة والمعجزة. والله أعلم.

وهذه هي خلاصة ما كتبته في الصفحات التي سبقت، أسأل الله تعالى أن يتقبلها بقبول حسن.

المصـــــادر

القرآن الكريم.

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء (ت ١١٧هـ)، حققه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣- إعراب القرآن، لابن سيدة.

٤- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض، ط١، ١٩٦٦م.

٥- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، عبد الفتاح القاضي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.

٧- تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بت قتيبة أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م.

٨- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء محب الدين ابن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٠-تفسير روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٢٣هـ) مطبعة عثمانية.

١١-تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا منشي المنار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، أعيد طبعه بالأوفسيت.
١٢-تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
١٣-التفسير الكبير أو مفتاح الغيب المشتهر بتفسير الرازي، للإمام محمد فخر الدين الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٤-تقريب التهذيب، لإبن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٥-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمع: الإمام مجد الدين الفيروز آبادي، دار الفكر.
١٦-التوقيت على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
١٧-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٨-الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد النصاري القرطبي، تقديم خليل محيي الدين الميس، راجعه صدقي محمد جميل، خرج أحاديثه وعلق عليه عرفات العشا، دار الفكر.
١٩-الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ- وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ).
٢٠-حجة القراءات، عبد الرحمن ابن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٢٢هـ-١٩٨٢م.

٢١-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢-زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
٢٣-سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، أبو عبد الله (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.
٢٤-صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.
٢٥-طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأديزوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٧م.
٢٦-غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، عني بنشره: ج برجستاسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.
٢٧-الفوائد البهية في تراجم الحنفية، للإمام محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، مع التعليقات السنية على الفوائد البهية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٨-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، دار الفكر للطباعة.
٢٩-لسان العرب، لابن منظور، طبعة جديدة محققة، دار المعارف.
٣٠-مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٧٢١هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣١-المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٢- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد الحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٣- نظم الدر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.